الملاحم والأساطير في ميثولوجيا الحضارات السامية

فؤاد يوسف قزانجي
أستاذ جامعي

أطلق الكتاب المقدس (العهد القديم) أو التوراة تسمية الشعوب المنحدرة من ذرية سام بن نوح بالساميين، إلا أنه لم يشر الى أنهم انحدروا من الجزيرة العربية، وكذلك الحال في نظرية الشعوب السامية التي أخذها المؤرخ النمساوي شلوتزر عام ١٨٧٣ من النص التوراتي، إذ أنه مثلاً نجد أن ابراهام (إبراهيم) الكلداني كان على الأرجح عراقياً من أصل سومري ومن سكان مدينة أور في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد. وبالتالي فأن التسمية جاءت من تشابه أصول اللغات الكنعانية والاكدية والعبرانية والآرامية والأثيوبية (الحبشية) والعربية أكثر منها من تشابه أصول الشعوب التي سميت بالسامية وهم الكنعانيون (بضمنهم الفينيقيون) والاكديون والآشوريون والعموريون (الأموريون) والآراميون والعرب والأحباش بدليل أن الأحباش، ليس هناك ما يشير في شكلهم وجنسهم من الناحية الانثروبولوجية وعلم الأجناس ولا من الناحية التاريخية أنهم من سكان الجزيرة العربية، أو بلاد الهلال الخصيب. كما أن البحوث التاريخية الجديدة تشير الى أن الاكديين وربما أيضا الآشوريين هما شعبان من سكنة بلاد الرافدين أصلا ولم يأتوا من الغرب كما هو الحال بالنسبة الى العموريين والآراميين وغيرهم، بل أن الأكديين مثلاً كانوا على الأرجح من سكنة القرى الزراعية التي انتشرت على ضفاف دجلة والفرات في عصري العبيد وجمدة نصر منذ الألف الخامس قبل الميلاد. وإذا صح ذلك فإن اللغات السامية على الأرجح قد نشأت في اصقاع متعددة من الجزيرة العربية والهلال الخصيب (فلسطين وسوريا والعراق) وفي المعتقد أن الآرامية والعبرية نشأتا في فلسطين معتمدتين كلياً على اللغة الكنعانية، ويشير معجم الحضارات السامية الى ذلك ذاكراً " إننا لدينا شواهد عن اللغات السامية المحكية في بلاد الكلدان (ويقصد بلاد ما بين النهرين) منذ الألف الرابع قبل الميلاد " ويقول العالم ولفنسون: " أن للتوراة نظرية خاصة عن أقدم منطقة عمرها بن نوح وهي أرض بابل وقد تكون هذه النظرية أقرب الى الحقيقة، فقد أثبتت النصوص القديمة أن أرض بابل هي المهد الأصلي للحضارة السامية. وقد أيد العالم (كويدي) هذه النظرية في رسالة يقول فيها أن المهد الأصلي للأقوام السامية كان في نواحي جنوب العراق على نهر الفرات، وقد سرد عدداً من الكلمات المألوفة في جميع اللغات السامية عن العمران والحيوان والنبات وقال أن أول من استعملها هي الأقوام التي عاشت في تلك المنطقة ثم أخذها عنهم جميع الساميين " أن كلمة كنعان تقابلها في الاكدية كلمة (كناخي) وهي بالفينيقية (كينغ) وفي العبرية (كنعان) وكلها مسميات تعني الحمرة أو الأرجوان. وبلاد كنعان هي التسمية الأصلية لفلسطين منذ الألف الخامس قبل الميلاد وكانت عاصمتهم أور –سالم.

ومنها سمى العبرانيون أور –شليم أي مدينة السلام (القدس) وأهم المدن التي أصبح بعضها دويلات كنعانية هي اوكاريت وشخم وقطنا ومجدو ولاخيش وأريحا وجبيلا (ببلوس) وبيت شان. ووجد الكنعانيون اصولهم في الأرض الممتدة من صحراء سيناء وغزا حتى حمات (حماة). الإله الذي كان معترفاً به في بلاد كنعان أشتهر باسم (ئيل) لكن صفات قوى الخصب والمطر تجسدت في الإله بعل أو حدد. وهناك الهة لا تقل أهمية عن هؤلاء، مثل (رشف) اله العذاب والعالم السفلي بالإضافة الى عشتروت (عشتار). وقد وجدت مجموعة من الرقم الطينية مكتوبة بعلامات مسمارية في اوكاريت وهي أنواع الحروف الهجائية من القرن الرابع عشر ق. م. وقد كتبت بلهجة من لهجات اللغة الكنعانية. وكثيراً من الآداب والأساطير الكنعانية انتقلت الى العبريين والعموريين خاصة تلك التي تدور حول عبادة القوس الطبيعية وقوى النمو والخصب ما يميز المجتمعات الزراعية. وقد استعمل الكنعانيون لعبادة آلهتهم معابد محلية في العراء على قمم التلال. أما العموريون أو الأموريون الذين هاجروا اخيراً الى بلاد الرافدين بعد أن استولوا على شمال كنعان وأسسوا لهم مراكز في مدن مثل (خلبو) حلب التي اشتهرت بعاصمتها (ايامخد) وكذلك مدينتي جبلا (جبيل) وقطنا الكنعانيتين. وأصبح مركزهم بعد ذلك مدينة ماري قبل هجرة عدد منهم الى بلاد بابل. ولم يخلف العموريون تراثا أسطوريا أو دينيا معنياً إذ سرعان ما ذابوا في خضم الحضارات الرافدينيّة ولغتها الاكدية. وعلى أية حال فإن الأقوام السامية عاشت في أرض مشتركة ما بين الجزيرة العربية والعراق، وقد تكون لغاتها فيها بعض التشابه لكن من دراستنا للتاريخ في العصور القديمة نجد أن هذه الأقوام متفاوتة في تفكيرها ومعرفتها وقيمها أحيانا، وهي بصورة عامة قبائل تبحث عن الكلأ والماء والأنهار والخضرة من أجل الاستقرار أو أنها إذا ما كانت قوية ومسلحة تستولي بحد السيف على مدن شعب آخر وتحل محل الشعب الأصلي ولذلك لم يكن بين تلك الأقوام توافق في العصور القديمة. قد تكون بعضها سعت للتعاون ورص الصفوف أمام الخطر الخارجي كالفتوحات البابلية والآشورية، ولكن المهم عندنا أن هذه الشعوب أعطت لنا حضارات راقية بعضها امتدت على طول الهلال الخصيب مثل البابليين والآشوريين، والبعض الآخر لم يستطع تكوين دولة كبيرة موحدة مثل الآراميين على الرغم من أن وجودهم كممالك ومجموعات مستقرة في مدن تمتد من دمشق حتى جنوب العراق. ووجدنا هذه الأقوام أحيانا تشترك في الأخذ والعطاء خصوصا في مظاهر الحضارة والتقدم فقد أعطت الحضارات الاكدية والبابلية والآشورية والفينيقية ومنها ممالك اوكاريت وايبلا وسمأل وغيرها والأهم من كل ذلك أننا سنجد خلال استقرار الأقوام السامية تطوراً مذهلاً في العبادة والقيم الدينية التي توصلت، من خلال تراكم الممارسات الدينية وبعد تفكير عميق بقيم السماء، لمعرفة الرب الواحد والإله الواحد، وكان السبق للعبرانيين الذين وظفوا مظاهر الحضارات السامية القائمة آنذاك وأدبياتها وملاحمها في معرفة الله، وكان سفر التكوين بداية معرفة أسرار الكون والخالق التي أوجدها. ولم يكن ليتوصل الى ذلك العبرانيون من دون ثقافة البابليين وعلومهم وآدابهم الراقية التي أدركوا فيها بدايات الخلق والتكوين والوجود التي ظهرت على شكل أساطير وملاحم نشأت معظمها في بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات. لكن الوثنية استمرت بين الشعوب السامية لانغلاق اليهود على أنفسهم وترددهم في نشر الدعوة اليهودية بين الشعوب الأخرى. وسوف نجد هناك توحداً من نوع ما بتقاليد الإلهة تموز في تجدد الحياة في فصل الربيع ولكن بأشكال ورموز ومسميات مختلفة فعند الفينيقيين هو الإله اشمون وربما أيضا ادونيس وعند العرب خضر الياس أو الخضر. كما تأثرت بإلهة عشتار ربة الخصب وربة الحب وربة الحرب أيضا، فسميت لدى بقيت الأقوام عشتر وعشتارته وعشتروت كما أطلق بعض الملوك الفينيقيين على أسمائهم عبد عشتر وعند العرب الجنوبيين سميت (بعثتر) واعتبرها الساميون إلهة الإنجاب وكان يرمز إليها بنجم وتمثل أيضا بكوكب (الزهرة). وكانت رغبة واندفاع الأقوام السامية في بداية نشأتهم هو البحث عن مواضع خصبة للاستقرار قرب العيون والأنهار وانتقالهم بذلك من مكان لآخر خلال أراضي الهلال الخصيب بعيداً عن الصحراء العربية وصحراء سيناء وقد أستمر هذا الانتقال المستمر (فالعبرانيون ضلوا في صحراء سيناء أربعين عاما) كل ذلك قد مثل لهم نوع من الاغتراب والقسوة في التعامل كما اتصفت ذهنيتهم بميل الى التفكير الأسطوري الذي يمزج بين الحقيقة والخيال ورؤياهم للوحوش المرعبة والحيوانات الخرافية التي تعكس مصدر الخوف من الظلام والأماكن القصية والخوف من المجهول عموما وكان العرب أكثر اهتماماً بالجن وعالمه" وكان العربي يرى في الجن أو في هذا المخلوق المرعب كل ما يراه المتوحش في طوطمه، فكان ينسب الأفراد والقبائل الى نسل الجن. كما قيل أن بلقيس ملكة سبأ وذا القرنين كانا من ولد الجن وكذلك قبيلة بني مالك وبني شيصان وبني يربوع من قبائل الجن " ولعل فكرة وجود الجن قد انتقلت الى العرب من التراث الحراني (الكلداني) الى العرب حيث قالوا بأن للجن الهاً وعليهم أن يضحوا بنحر ذبيحة له، ثم يطبخونها بماء يستحمون فيه سراً لترضية رئيس الجن وهو الإله الأعظم. وكانت خرافات الغيلان منتشرة بكثرة في الجزيرة العربية قبل الإسلام، وينسب لبطل عربي خرافي يسمى(تأبط شراً) أنه قتل غولة بضربة واحدة من سيفه. وممن تزوج بالجن من العرب عمر بن يربوع التميمي وعمرو ذي الأذعار ذي المنار " كما أن قبائل بكاملها عبدت الجن مثل رهط طلحة الطالحات من خزاعة. وقد ألفوا روايات كتبت فيما بعد تنسب الى أبي هلال وابن الأمام وأبو خالد الخراساني وابن أبي رصاصة ولوهق بن عرفج كما نقل العرب أساطير عبرانية من بينها أسطورة ولادة إبراهيم الخليل وموجزها: " أن ولادته كانت أيام الملك نمرود بن كنعان وكان بين الطوفان وبين مولد إبراهيم (١٢٦٠) سنة. وذكر أن النمرود أول من لبس التاج على رأسه ومشى جباراً في الأرض، وطلب من الناس أن يعبدوه. وكان من بين حاشيته كهان ومنجمون قالوا له: أنه يولد في بلدك هذه السنة غلام بغير دني أهل الأرض ويكون زوال ملكك على يديه، وقالوا أنهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء، وأمر النمرود أن تقتل كل امرأة حامل وكل غلام يولد ذلك اليوم. وكانت أم إبراهيم يوما حاملاً فقال الكهان للنمرود أن الغلام الذي أخبرناك عنه قد حملت به أمه هذه الليلة. أعطى النمرود أوامره بذبح جميع الغلمان (الأطفال) الذين يولدون تلك الليلة. فلما دنت ولادة إبراهيم وجاءها المخاض خرجت هاربة الى مجرى النهر يابس مخافة أن يطلع عليها أتباع النمرود ويقتلون وليدها. وكانت قد لفته في خرقة ووضعته مخفيا بين أعواد الحلفاء وعادت إدراجها وأخبرت زوجها بالوليد الجديد وعينت له مكانه. فانطلق أبوه آزر وأعد له ملجأ قرب النهر وسد بابه بصخرة مخافة السباع. وكانت أمه تزوره بين الفينة والأخرى لترضعه وتطعمه." ويلاحظ أن الأسطورة تشبه ولادة النبي موسى التي أخذت أصلا من قصة ولادة سرجون الاكدي (٢٣٤٠ ق.م.) مع إضافة مقطع من ولادة يسوع المسيح. كما انتقلت الى العرب أسطورة عبرانية أخرى الى العرب. وهي أسطورة العماليق وهي على النحو التالي: " أن العماليق أو العمالقة، سموا كذلك نسبة الى جدهم عمليق الذي هو شقيق طسم ويرجع أصله الى سام بن نوح. ويعتبر العمالقة من أقدم طبقات العرب. وقد تفرقوا في أرض الجزيرة وتوزعوا الى قبائل سكنت في عمان والحجاز والشام والعراق ومصر. وعرف من ملوكهم الأرقم وهو من العمالقة وكان معاصراً للنبي موسى. ويقال أن عمليقاً وهو أبو العمالقة أول من تكلم بالعربية وقد جاء من بابل. والعبرانيون ينسبون العمالقة الى قبائل من الرحل قطنت جنوب بحر النجف ينسبها التوراة الى عمليق حفيد عيسو بن أسحق بن النبي ابراهام كما جاء في سفر التكوين (٩: ١٢) وفي سفر الخروج أيضا. وعرف عن العمالقة شدة بأسهم وشجاعتهم، وهم أول شعب دخل الحرب مع العبرانيين لمساعدة اليهود حينما خرجوا من مصر في طريقهم الى فلسطين. وكانوا في بعض الأوقات مصدراً للرعب والمتاعب المستمرة لإسرائيل. ولهذا كان العبرانيون يخافون من العماليق وادعوا أنهم انتصروا عليهم وكانوا يدعون من الرب يهوه أن يخرب مساكنهم!؟ " وهناك أساطير عربية إضافة الى قصص الأولين من أبرزها: ١) ارم ذات العماد: وارم أرض رائعة كالجنة بناها ارم بن شداد بن عاد في اليمن الذي كان جبارا... الخ. ٢) اساف ونائلة: قصة من قصص الأولين حدثت في الكعبة بمكة قبل الإسلام. ٣) أسطورة الخضر أو خضر الياس: وهي محاكاة لأسطورة تموز مع إضافة القدسية على الخضر حتى عد نبياً أو ولياً. ٤) قصة صد بن عاد. ٥) قصة اله شعب قتبان (عم). ٦) قصة عوج بن عنق. وبجانب الجن وقصصهم كانت الغول (وهي مؤنثة) " تلزم الذهنية العربية قبل ظهور الإسلام وتتسلط عليها تسلطاً مهولاً. وكانت الغيلان في الغلوات تتراءى للناس فتغول تغولاً، أي تتلون ألوانا وأشكالا فتضلهم عن الطريق وتهلكهم "

وقد كان الساميون وهم بدو رحل في بدايتهم يبحثون عن الخضرة والعيون والأنهار، فإن وجدوا قرية اعتبروها كأنها استراحة الفردوس لهم، فكانوا يعتقدون بأن إلههم يستريح في هذا المكان وكانت المعابد العالية عموماً مكانا يقرب منها الإنسان السامي من الإله والسماء معاً. وكانت الآداب السامية مرافقة لتطور الإنسان القديم في المدينة ومعرفته للكتابة وتحوله من مجتمع قروي زراعي الى مجتمع أكبر في المدينة ثم انتقاله الى المدينة –المملكة أو الدويلة –المدينة التي انتعش فيها الأدب. وكانت البداية هي احتفالات رأس السنة وتحولت الدعوات والصلوات والتوسلات للآلهة الى قصائد تفيض حباً في رضى المحبوب وثناءاً لأوصافه ورقة في الرجاء وتوسل في الأمنيات فجاءت قصائده حافلة بالرقة. وحينما أرتفع الإنسان ولامس قلبه السماء واهتزت روحه نظم شعراً جميلا للآلهة وبكى شعراً من خلال مرثيات حزينة على تخريب مدنه العامرة مثل بابل وأور ولكش. وتتألف الأساطير في العالم القديم عامة والأساطير والملاحم السامية خاصة من قصص الآلهة والأبطال والملوك من حيث مولدهم وحبهم وبغضهم ومغامراتهم وانتصاراتهم وهناك غير قليل من الأساطير السامية فسرت الخلق والوجود والنظام الكون وتكوين الإنسان وإقامة المدنية. وعلى الرغم من الشبه الموضوعي بين الأساطير السامية، لكننا نجد أحيانا تعبر عن الأرض والبيئة التي يعيش فيه قوم من تلك الأقوام. وتمثل الأساطير واحدة من أعمق منجزات الروح الإنسانية، وهو الخلق الملهم لأذهان شاعرية موهوبة تسبح في خيال خصب قلما نجد مثيله. وترتبط الأسطورة ارتباطا وثيقاً بالحياة العامة والحياة الروحية للإنسان مع ما فيها من مناسك وشعائر وتقاليد وهذا النتاج الأدبي لم يظهر بين الأقوام السامية إلا بعد استقرارها ومعرفتها للغة وتكوين مملكتها وانتشار الرفاهية حينذاك نشأت الآداب والمعارف وكانت بدايتها القصائد والأساطير والقصص والملاحم بالإضافة الى أدب الحكمة والصلاة والتعاويذ المناسبة للآلهة والدعاء وتحول كل ذلك الى شعر بسيط وجميل معبر عن مكنونات الإنسان بصدق وعفوية. لكن الأقوام السامية كانت في غالب الأحيان تهاجم الواحدة منها الأخرى بقسوة وأحيانا بلا رحمة على الرغم من ارتفاع مستواها الحضاري. ويمكن القول أن جميع الأقوام السامية مرت بمرحلة أولية لنشأه الآداب بدءاً من الصلوات والدعاء للإلهة التي تطورت من الأسلوب النثري العادي الى انتقاء الكلمات الجميلة في شعر حر يعتمد على أوزان بسيطة على هيئة ترانيم وأشعار تخصص للأعياد الدينية والمناسبات، وتطورت تلك القصائد والقصص الى ملاحم وأساطير تجمع بين الخيال الخصب والتحدي للطبيعة ورفع مستوى الإله أو البطل وقوته الهائلة في مصارعة قوى الظلام والوحوش الخرافية والقضاء عليها ليسود العدل وتعم الطمأنينة في المجتمع. ويمكن القول أن هناك مرحلتين لتطور الأدب السامي كما نجد في الأب البابلي والكنعاني – الأوكاريتي والأدب الآرامي والعبري. فالمرحلة الأولى هي القصص والأساطير المتعلقة بالإلهة التي كانت تمثل الإنسان وأحلامه وأمنياته فكان الإله يقاتل ويحارب بديلاً عن الإنسان عن الإنسان السامي أو الإنسان القديم حيث كانت الأساطير تعبر عن نوع الحياة التي كانت من صنع الآلهة وفي عرف الإنسان السامي أن حياته مرتبطة بأحكام الآلهة وسلوكها، وكان دور الشاعر أو القاص هو صياغتها في قصيدة جميلة أو قصيدة معبرة. أما المرحلة الثانية فكانت تقوم في محورها الأساسي حول بطل هو إنسان استثنائي أو شبه اله وله جوانب إنسانية يختارها المؤلف أو الشاعر كنموذج لملك متميز أو قائد عظيم أو بطل شعبي وذلك للدفاع عن البلاد أو لتدمير أعداء القوم أو القيام بمغامرات وأحداث ذات مغزى إنساني كالخلود والتحدي والجبروت كما نجد في ملحمة كلكامش حول البحث عن الخلود. وملحمة اتر خاسبيس عن الصراع مع الطبيعة وملحمة ايتانا لاكتشاف المجهول، وكلها قضايا إنسانية خالدة. ولقد أدرك الساميون أن الأسطورة والعقل مكملان لبعضهما وكلاهما له مجاله المنفصل وميدانه الخاص، إلا أن الربط بين النمطين مع فهم الواقع قد أدى الى حرية في التفكير الذي عبر عن جميع مكنونات الإنسان السامي في الهلال الخصيب والجزيرة العربية.

الجويبراوي يستغرق اربعين عاما في تأليفه (معجم الاهوار)

محمد الحمراني

اجرى الراحل الشاب الروائي محمد الحمراني مراسل المدى في العمارة هذا الحوار مع الباحث الجويبراوي قبيل رحيله بأيام ووصلنا بعيد وفاته المبكرة رحمه الله

❖الباحث جبار عبد الله الجويبراوي، عاش في الاهوار، ودافع عن الاهوار في وقت لم يستطع احد ان يجرأ في قول كلمة واحدة عن الاهوار، وألف كتابه الرائع (سلاما ايتها الاهوار) عام ١٩٩٣

❖ كان لنا معه هذا اللقاء ليحدثنا عن هذا التمازج بينه وبين الأهوار قال الجويبراوي بداية:

- لم اكن أعرف ان الاهوار ستكون هاجسي الكبير في حياتي الادبية والفنية، إذ كنت كلما سألت والدي عن تاريخ ولادتي، كانا يتساءلان فيما بينهما عن أهم الاحداث التي وقعت في الاهوار أثناء ولادتي هي: وفاة فالح الصيهود شيخ البو محمد في الكحلاء، ووفاة شواي الفهد شيخ آل ازيرج في المجر الصغير (الميمونة فيما بعد)، وبين وفاة هذين الشيخين كانت ولادتي حسب تخمينات والدي اللذين ماتا رحمهما الله، ولم أعلم تاريخ ولادتي الى يومنا هذا، شأني في ذلك شأن كل أبناء الفلاحين في جنوب العراق..

❖ وماذا تتذكر من عالم الأهوار في طفولتك؟

- وبالرغم من هذا كله فان شريطا من المعلومات في اوائل الخمسينيات مازال يمر أمام مخيلتي فيذكرني ان والدي كان فلاحا مجدا، وصيادا ماهرا، وعائلتي وجدتها تسكن في بيت من القصب على نهر صغير اسمه (بلي) يصب ماؤه في هور الحويزة..

ولم يطل السكن بنا هناك على ما يبدو، فمن أحاديث أبي أن جدي مني بخسارة كبيرة في أحد مواسم الحصاد في حقبة الاربعينيات، ولم يستطع تسديد الديون التي بذمته، فهربنا تحت جنح الليل من أعماق الهور الى مدينة العمارة طلبا للنجاة، من قصاص الشيخ (صدام بن فالح الصيهود).

فاشتغل جدي ووالدي حارسين في سوق العمارة الكبير لدى المتعهد (فرحان العرس). وهو من شخصيات العمارة الكبيرة يومذاك. وما كل ما يتمنى المرء يدركه، فان جدي في نهاية أحد الاشهر جاء يستلم راتبه الشهري من المتعهد وفجأة وقع نظره على الشيخ صدام بن فالح الصيهود مع ثلة من عبيده وهم يجوبون السوق الكبير، فحاول الهرب لكنه لم يفلت فالقي القبض عليه، وارسل مخفوراً الى مقاطعة الشيخ في الكحلاء وهناك أودع في (طامورة) وهو سجن رهيب، ولم ينج منه إلا بشفاعة أحد كتاب الشيخ وكان الرجل من عشيرة (آل جويبر) فأسقط الديون عن جدي الذي عاد الى العمارة ثانية وآثار القيود في ساقيه ماثلة للعيان حتى وفاته رحمه الله عام ١٩٦٤

❖ متى بدأت الكتابة عن الاهوار؟

- في مطلع عام ١٩٦٧ عينت معلما في هور الحويزة وقد وجدت مدير مدرسة الخليل الريفية واثنين من المعلمين قد عوقبوا لمرافقتهم السيد ماجد السيد ولي (الاستاذ الدكتور فيما بعد) الى أعماق الهور بدون إذن رسمي، وكان يومها السيد ماجد السيد ولي يعد لرسالة الماجستيرعن هور الحويزة في تلك الفترة مما نبهني ذلك لإستغلال الفرصة لكتابة دراسة مفصلة عن الاهوار التي أعيش فيها مرغما، وفعلا قمت بالمهمة وكانت أولى امنياتي أن التقي بالسيد ماجد السيد ولي الذي أصبح فيما بعد أستاذي غير المباشر لكل ماكتبت عن الاهوار. اذ زودني بكل ما احتاج اليه من مصادر، ومنحني ثقة عالية في انجاز أي بحث وكنت على اتصال دائم به.

في عام ١٩٧٧ فزت بالجائزه القطرية الاولى في مسابقة المسرح الريفي عن مسرحية (عرس الكاع) التي كانت فكرتها (فلاح يهرب من ظلم الاقطاع من العمارة الى بغداد فيشتغل منظفا في شارع السعدون وتجمعه الصدفة بفلاح هارب من ظلم الاغوات في اربيل لبيع اللبن هناك) ومن تداعيات المكان تبدأ الحوارات المفعمة بالحزن والتعسف والظلم..

❖ وهل حدثت لديك مفارقات في شراء الكتب عن الاهوار؟

- كثيرة هي المفارقات وكان اكثرها مفارقة عندما عرض علي كتاب (عرب الاهوار) لويلفرد ثيسكر. النسخة الانكليزية. بثمن باهظ وكان قيمته راتب شهر كامل، اقترضته من صاحب المكتبة العصرية في العمارة الحاج حيدر حسين، وسلمت المبلغ للبائع، وفي رأس الشهر سلمت راتبي الى الحاج حيدر وقلت لأمي سُرق راتبي وشعرت بالحزن إلا أنها سرعان ماعرفت الحقيقة بعد قليل واستدانت مبلغا من صاحب الدكان الذي نتسوق منه دون علم والدي وهكذا أمضينا الشهر متقشفين.

❖ هل من متاعب اثناء تجوالك في الأهوار؟

- الاهوار بيئة تعودت عليها فقد اشتغلت معلما في الاهوار الشرقية ثم الاهوار الوسطى وصار لي أصدقاء كثيرون فيها وكنت لا أجد صعوبة في التنقل بينها ولكني دعوت صديقين من اهالي الحلة الفيحاء ومصورا فوتوغرافيا لزيارة هور الصحين. الاهوارالوسطى. في المجر الكبير. أواسط السبعينيات وكنت محتاجا بعض الصور لتوثيق أحد المواضيع وعندما وصلنا المجر الكبير وجدنا الجو غائما ثم أمطرت السماء مطرا كثيفا فانقطع الطريق الترابي الذي يربط قضاء المجر الكبير بناحية العدل المطلة على الاهوار الوسطى، فاستأجرت زورقا بخاريا للذهاب للصحين واثناء سير الزورق في المياه العميقة سقطت كاميرا الصديق المصور فامضينا وقتا كثيرا في البحث عنها ولم نستطع التقاط صورة واحدة في هذه السفرة البائسة.

❖ وماهي الذكريات الجميلة التي لا يمكن نسيانها؟

- أيام الحصاد، وصيد الطيور و الاسماك وأجمل السفرات كانت مع المرحوم السيد مزهر السيد يوسف البطاط وأخيه السيد عباس السيد يوسف حيث كانا صيادين ماهرين، ولايمكن نسيان الليالي التي نمضيها في المضايف وخاصة في ليالي الشتاء الطويلة حيث قراءة الموالات والابوذيات والاحاجي إذ يمتلك ابناء الاهوار ذاكرة متوقدة في حفظ الاشعار الشعبية والمناسبات التي قيلت فيها، وأجمل الايام التي كان فيها حاضرا المؤرخ الفولكلوري المرحوم عبد الحسن المفوعر السوداني الذي كان يزور الاهوار بين فترة واخرى وكانت تربطه روابط حميمة بالسادة بيت البطاط.

❖ والمرأة في الاهوار.. ماذا عنها؟

- تحتفظ ذاكرتي بأشياء كثيرة عن المرأة في الاهوار، إذ كانت مدرستي كما ذكرت سابقا تقع على مقربة من هور الحويزة وفي مطلع السبعينيات فتح طريق ترابي اليه وكانت سيارات الاجرة تنقلنا الى مسافة عشرين كيلومترا، وتبقى لنا مسافة اربعة كيلو مترات نقطعها مشيا على الاقدام ويصادف الوقت فجرا حيث تقوم النساء بالخبز على التنور الطيني، فكلما مررنا بامرأة تعطينا رغيفا ونحاول عدم أخذ الخبز ولكن لا نستطيع لأن هذا العمل عيب على المرأة التي لاتعطي من خبزها رغيفا لذلك نصل الى المدرسة ونحن محملون بأرغفة الخبز الحار.

وهناك حكاية اخرى تدل على كرم المرأة في الاهوار إذ كان من عادات سكان الاهوار عندما يأتي الزوافيف. أي أهل العريس. لأخذ العروس من بيت اهلها يخبرون أهل القرية بموعد مجيئهم لكي يتهيأوا لإستقبالهم وضيافتهم وخاصة إذا كان أهل العريس من قرية بعيدة وتتم الضيافة عن طريق رمي أهل القرية أشياءهم الخاصة في مشاحيف الضيوف ويخبرونهم باسم الشخص الذي يدعوهم الى بيته لتناول وجبة الطعام عنده، وصادف في إحدى المرات ان أحد البيوت ليس فيه رجل وكانت زوجته أعدت الطعام ولكنها لم تحصل على ضيوف فجلست عند الشاطيء تبكي فهالني بكاؤها ووقفت قبالتها استفسر عن سبب بكائها فقالت انها أعدت طعاما ولا يوجد عندها ضيوف وتخشى من العار، فقلت لها ماعليك سآتي لك بالضيوف فأسرعت الى جيران المدرسة واصطحبت خمسة من الضيوف واشرفت على ضيافتهم نيابة عن تلك المرأة الكريمة.

❖وما هو أول بحث نشرته في الصحف العراقية؟

في هذا العام أي عام ٢٠٠٧م تمر ثلاث وثلاثون سنة. على نشري حكاية (الاسكندر أبو الكرنين) في مجلة التراث الشعبي العراقية، وهي أول حكاية من الاهوار نالت استحسان الفولكلوريين العراقيين، وقد حولت الى عمل مسرحي كبير أطلق عليه اسم (مزامير) كتب حواره (طه سالم)، وأشعاره (شاكر السماوي)، وقدم على مسارح بغداد، والمحافظات، ولم يشيرا الى أصل النص المأخوذ منه العمل، لأن الأدباء في المدن مهما كانوا مبدعين فهم صغار في نظر الادباء في بغداد..

❖ وما دور مجلة التراث الشعبي في تشجيعكم في نشر البحوث عن الاهوار؟

- مجلة التراث الشعبي العراقية منحتني فرصة، وحرية في الكتابة، والفضل يعود الى جهود المرحوم الاستاذ لطفي الخوري رئيس ا لتحرير، والشاعر الكبير سعدي يوسف سكرتير التحرير، و رؤساء التحرير الذين اعقبوهم، كالأستاذ باسم عبد الحميد حمودي، والاب الروحي للتراث الشعبي العراقي الاستاذ كاظم سعد الدين، والأستاذ قاسم خضير عباس رئيس التحرير، وقد نشرت لي المجلة أكثر من (٣٠) موضعا عن الاهوار في المدة الواقعة بين عامي ١٩٧٤و٢٠٠٧

❖ وماهي قصة كتابكم (سلاما ايتها الاهوار)؟

- في عام ١٩٩١عندما قمع النظام المقبور انتفاضة شعبنا، لم يكتف بالاعمال الاجرامية والمقابرالجماعية، فقد تهجم في صحفه ولاسيما (جريدة الثورة) على عرب الاهوار ووصفهم بمختلف النعوت..وقد اعلنت المنظمات العالمية، ومؤسسات المجتمع المدني استنكارها لتلك الاعمال وأشارت الى جريمة تجفيف الاهوار، وهجرة ابنائها الى الدول المجاورة، وللتغطية على ذلك، كلفت وزارة الثقافة مجموعة من الباحثين لتأليف كتاب عن الاهوار لكنها أخفقت في مهمتها، فتبرعت للقيام بذلك مستغلا الفرصة في الدفاع عن أهلي (عرب الاهوار)، وانجزت كتابا في مئة صفحة أسميته: (سلاما ايتها الاهوار) تناولت فيه الاصالة، والتاريخ، والتراث، وتبرعت بحقوق التأليف للعاملين في مطبعة مديرية الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة.

❖وما هي مساهماتكم الكتابية في إنعاش الاهوار؟

- منذ سقوط الطاغية في بغداد عام ٢٠٠٣ وحتى يومنا هذا، بدأت الحياة تدب في الاهوار بعد ان جفت تماما وأصبحت ارضا قاحلة، وبدأ الناس يعودون اليها زرافات، ووحدانا يحدوهم الأمل الكبير في الحياة الحرة الكريمة، في بيئتهم الجميلة الرائعة..

وتوجهت الاضواء ثانية نحو الاهوار، ففي المؤتمر العلمي الاول لإحياء الاهوار المنعقد في (٢٠/ اذار/ ٢٠٠٤) الذي أقامته مؤسسة الهدى للدراسات الاستراتيجية في ميسان، ساهمت في أول - محاضرة عن الاهوار (الصحة والتعليم في الاهوار من ١٩٣٣. ١٩٥٨).

وفي مؤتمرالمثقفين العراقيين الذي عقدته وزارة الثقافة بمساعدة منظمة اليونسكو في بغداد في (١٢. ١٤نيسان ٢٠٠٥) كان لي في ورشة التراث الشعبي مشاركة هي: (التراث الشعبي في الأهوار)

وفي الندوة العلمية الموسومة (الأهوار..واقعها..مستقبلها) التي أقامتها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. جامعة البصرة. كلية التربية في ميسان، في ٢/ نيسان /٢٠٠٦ القيت محاضرة عن(الأهوار في كتابات الساسة والرحالة الانكليز)

وفي المؤتمر الثاني لمركز علوم البحار الذي اقامته جامعة البصرة في تأهيل الاهوار في ٢، ٣ نيسان ٢٠٠٧م ساهمت بمحاضرة عن الواقع الصحي والتعليم في اهوار العمارة من ٢٠٠٣م الى ٢٠٠٦م

❖ وماهي نشاطاتكم عن الاهوار في هذه الفترة؟

- اجريت معي اكثر من اربعين مقابلة صحفية عن الاهوار وعرب الاهوار والمناطق الاثرية فيها ولدي ارشيف عن كل مانشر من مقابلات.

❖ وماهي بحوثكم التي نشرتموها في الصحف العراقية؟

- في جريدة المدى العراقية استعرضت معظم الكتب المترجمة التي صدرت عن الأهوار وهي: (الحاج ركان) للحاكم السياسي لمدينة العمارة عام ١٩٢٧(المستر هيدجكوك وزوجته)، و (عرب الأهوار) لمؤلفه (ولفرد ثيسكر)، و (قصبة في مهب الريح) (لكافن ماكسويل)، و(العودة الى الأهوار) تأليف (كافن يونك).

كما قدمت عرضا لمحاضرة الأستاذ الدكتور ماجد السيد ولي،(هور الحويزة بيئته الطبيعية وأثرها في الاحوال البشرية، ٢٠٠٤) في الجريدة ذاتها.

❖هل بالامكان إعادة الحياة إلى عالم الاهوار مثلما كانت؟

- نعم ستعود الاهوار لكن ليست بالصورة التي كانت عليها، لأن ذلك مرهون بكمية المياه المتدفقة في الرافدين وحصة العراق من المياه حيث المشاريع الضخمة التي اقامتها تركيا وخاصة مشروع اليسو والغاب والمشاريع التي اقامتها سوريا ومثل تلك المشاريع ستؤثر على الحصة المائية الواردة الى العراق، والاهوار تحتاج كميات كبيرة من المياه وهذا راجع الى علاقاتنا مع الدولتين الجارتين.

لماذا امتنعت العشائر القائمة على (نهرالعز) عن غمر الاراضي بالمياه؟

- منذ ان شرع النظام المقبور في انجاز مشروع نهرالعز في اوائل التسعينيات وهو كما تعرف تغيير مجاري الانهار التي كانت تغذي الاهوار كالبتيرة والمجر الكبير في نهر طوله أكثر من ٩٨ كيلومترا وعرضه حوالي الفي متر يذهب بالماء بعيدا عن الاهوار ليرميه في شط العرب دونما الاستفادة منه في الوقت ذاته أسكن عشائر الاهوار على ضفتيه في مجمعات سكنية لا تتوفر فيها الشروط الصحية كالماء الصافي والكهرباء ولكنهم تأقلموا على العيش فيها وعندما سقط الصنم الاكبر رفض ابناء العشائر غمر الاراضي بالمياه وعودة الاهوار الوسطى متذرعين بالتعويضات لأنهم استغلوا جزءا من تلك الاراضي للزراعة وصاروا يؤجرون المتبقي منها الى اصحاب المواشي وهذا العمل لايكلفهم جهدا يذكر لذلك رضوا بتلك المعيشة التي اعتادوا عليها أكثر من عشر سنوات وهي تدر عليهم ارباحا لا بأس بها، وما زالت السلطة المحلية ووزارة الموارد المائية في تفاوض مستمر حول غمر بعض الاراضي بالمياه وحل هذه المشكلة بالطرق السلمية وهناك شيء مهم يجب ذكره في هذا الخصوص ان الحصة المائية المخصصة لمدينة العمارة تذهب دون الاستفادة منها وهي حق لنا نص عليه الدستور العراقي.

مقال لم ينشر للراحل محمد الحمراني

حكاية من الزولو

من أين تأتي القصص؟

ترجمة / عادل العامل

قبل وقت طويل، طويل جداً، لا بد أنه كان قريباً من الزمن الذي سار فيه الرجل الأول والمرأة الأولى على الأرض، كانت هناك امرأةٌ تُدعى (مانزاندابا -Manzan daba)وزوجها (زِينزَيله .Zenzele).

وقد عاشا في بيت تقليدي في قرية تقليدية. وكان لديهما الكثير من الأطفال، وهم سعداء جداً في أغلب الأحوال. فكانوا يقضون النهار يعملون في نسج السلال، ودبغ الجلود، والصيد وحرث الأرض قرب بيتهم. وينزلون من حينٍ لآخر إلى المحيط العظيم ويلعبون تحت الشمس في الرمال، ضاحكين من سرطانات البحر المضحكة الشكل التي يرونها تعدو هنا وهناك ومستمتعين بالطريقة التي تهبط بها الطيور وتغوص في البحر.

وكان لزنزيله قلب فنّان وقد أحب فن النقش. فكان يصوغ طيوراً جميلة من جذوع الأشجار. وبفأسه، كان باستطاعته أن يصنع أعجبَ غزلان الإمبالا وأرانب الكودو من الحجر. وهكذا امتلأت دائرة المنزل بتحفيات زنزيله النقّاش.

ولكن في الأماسي حين تجلس العائلة حول النار قبل الذهاب للنوم ما كانوا ليشعروا بالسعادة هكذا. فقد كان الجو مظلماً جداً بالنسبة للقيام بالحياكة أو النقش، والوقتُ مبكّرا مع هذا للنوم. فكان الأطفال يصيحون: " ماما، نريد قصصاً! إحكي لنا بعض القصص، ماما! " فتفكر مانزاندابا وتفكر محاولةً أن تجد قصةً تحكيها لأطفالها، لكن من دون فائدة. فلم يكن لديها هي وزينزيله أية قصص ليحكوها. وقد التمسا المشورة من جيرانهم، ولكن لا أحد منهم كان يعرف أية قصص. فراحا يصغيان للريح. فهل كان بإمكان الريح أن تحاول أن تحكي لهما قصةً؟ لا، لم يسمعا منها أي شيء. لم تكن هناك قصص، ولا أحلام، ولا حكايات سحرية.

وفي أحد الأيام قال زينزيله لزوجته إن عليها الذهاب لتبحث لهم عن قصص. ووعدها بالعناية بالبيت، ورعاية الأطفال، والقيام بإصلاح الأمور والغسل والكنس والتنظيف، إذا ما استطاعت فقط أن تأتي بقصصٍ للناس. وافقت مانزاندابا. وقبّلت زوجها وأطفالها مودّعةً وانطلقت بحثاً عن قصص.

وقد قررت المرأةُ أن تسأل كلّ كائنٍ تمر به إن كان لديه قصص يشاطرها إيّاها. وكان أولُ حيوانٍ تلتقيه هو نوغواجا الأرنب البري. ويا له من محتال كان! ولكنها فكّرت بأن من الأفضل أن تسأله، على كل حال. وقالت له: " نوغواجا، هل لديك أيّة قصص؟ إن أهلي توّاقون لسماع حكايات! "

زعق نوغواجا قائلاً: " قصص؟ لماذا، إن لديّ مئات، آلاف، لا - ملايين منها! "

فتوسّلت له مانزاندابا: " أوه، أرجوك، أعطني بعضاً يمكننا أن نكون به سعداء! "

قال نوغواجا: " أم م م... أه هـ هـ... طيّب، ليس لديّ وقتٌ للقصص الآن. ألا ترين أنني مشغولٌ جداً؟ قصص في النهار، عجباً! " ونطّ نوغواجا مبتعداً بسرعة. نوغواجا السخيف! لقد كان يكذب! لم تكن لديه أيّةُ قصص!

وبحسرة واصلت مانزاندابا مسيرها. وكان الحيوان التالي الذي صادفته قردة البابون الأم مع صغارها. فهتفت بها: " أوه، فَيِنَي! أرى أنك أمٌ كذلك! وأطفالي يطلبون مني قصصاً. فهل لديكِ أية قصص يمكنني العودة بها إليهم؟ "

ضحكت القردة قائلةً: " قصص؟ هل أبدو لك أنني أملكُ وقتاً لرواية القصص؟ هاوو! مع كل هذا الشغل الذي أقوم به لتغذية أطفالي وتدفئتهم والحفاظ عليهم سالمين، ترين أن لديّ وقتاً للقصص؟ إنني مسرورة لعدم وجود أطفال بشر لديّ يطلبون باكين أموراً سخيفة كهذه! "

فمضت مازاندابا في طريقها. ورأت بعد ذلك بومةً في شجرة تين برية. فنادت: " أوه، كوفا، من فضلك أتساعدينني؟ إنّي أبحث عن قصص. هل لديك أية قصصٍ يمكنك أن تعطيها لي لأعودَ بها إلى بيتي؟ "

حسنٌ، كانت البومة منزعجةً جداً لإيقاظها من النوم. فصاحت ناعبةً: " مَن هذا الذي يسبب لأذنيّ كل هذه الضوضاء؟ ما هذه المضايقة؟ ما ماذا تريدين؟ قصص! وتجرئين على إيقاظي من أجل قصص؟ كم ذلك فظّا! "

وبهذا طارت البومة منتقلةً إلى شجرة أخرى وحطّت في مكانٍ أعلى، حيث سيتركونها كما تعتقد في هدوء.

وسرعان ما غطّت في النوم ثانيةً. فمضت مازاندابا حزينةً في طريقها.

وبعد ذلك صادفت فيلاً. فسألته قائلةً: أو، يا ندلوفو الطيب، هل تعرف أين يمكنني أن أجدَ بعضَ القصص؟ إن أهلي متلهفون لبعض الحكايات، وليس لدينا أي شيءٍ منها! "

والآن فإن الفيلَ كان حيواناً طيّباً. ورأى التطلّعَ في عينَيّ المرأة فأحسّ بالأسى مباشرةً لها. قال: " أيتها المرأة العزيزة، ليس لديّ أية معرفة بالقصص. لكنني أعرفُ النسر. وهو ملك الطيور ويطير أعلى كثيراً من الباقين جميعاً. ألا تعتقدين بأنه يمكنه أن يعرف أين تستطيعين أن تجدي قصصاً؟ "

فقالت له: " أشكرك كثيراً جداً، ندلوفو! "

وهكذا راحت مانزاندابا تبحث عن نكوازي، نسر الأسماك العظيم. ووجدته قرب مدخل نهر توغيلا. فانطلقت نحوه باهتياج. ونادت عليه وهو ينقض من السماء وقد برزت مخالبه ليختطف سمكةً من النهر، صائحةً " " نكوازي! نكوازي! ". فأجفلت النسر إلى حد أنه أسقط السمكة التي صارت له. فدار وهبط على الساحل قرب المرأة.

وصاح قائلاً لها: " هاوو! أي شيء مهم جعلك تُفقدينني عشائي؟ " فبدأت مانزاندابا بالقول: " أوه، يا نكوازي العظيم، الحكيم! " (والآن فإن نسر الأسماك كان مزهواً جداً.

وقد أحب سماع المرأة تشير إليه بالعظيم والحكيم. فنفخ ريشه وهي تخاطبه.) " إن أهلي تواقون يا نكوازي للقصص. وأنا أبحث منذ مدة الآن عن حكاياتٍ أعود بها إليهم. فهل تعرف أين يمكنني أن أجد مثل هذه الحكايات؟ " وتطلعت إليه بنظرة مفعمة باليأس.

فقال: " حسنٌ، حتى مع أنني حكيمٌ تماماً، فأنا لا أعرفُ كلَّ شيء. فقط أعرف عن الأشياء التي هنا على سطح الأرض. ولكن هناك مَن يعرف حتى أسرار المحيط العميق، المظلم. ربما يمكنه هو أن يساعدك. وسأحاول زيارته من أجلك. فامكثي هنا وانتظريني! " وهكذا راحت مانزاندابا تنتظر لعدة أيام عودة صديقها نسر الأسماك. وأخيراً عادَ إليها. وقال: " لقد رجعت، وأنا ناجح! فقد وافقت صديقتي سلحفاة البحر الكبيرة على أخذكِ إلى مكانٍ تجدين فيه قصصاً! " وهنا رفعت سلحفاة البحر الكبيرة نفسها خارجةً من المحيط.

قالت سلحفاة البحر بصوت عميق: " إصعدي على ظهري وامسكي بترسي. سأحملكِ إلى (أرض شعب الأرواح) ". وهكذا أمسكت المرأةُ بالترس وراحا معاً إلى أعماق البحر. وكانت المرأة مندهشةً تماماً. فلم يسبق أن رأت أشياء جميلة كتلك في حياتها أبداً. وأخيراً وصلا إلى قاع المحيط حيث يسكن شعب الأرواح. وأخذتها السلحفاة مباشرةً إلى عرشي الملك والملكة. وكانا غاية في العظمة! فكانت مانزاندابا خائفةً قليلاً في الأول من النظر إليهما. وانحنت أمامهما.

فسألاها: " مات الذي تريدين منّا، أيتها المرأة القادمة من اليابسة؟ "

وهكذا أخبرتهما مانزاندابا برغبتها في أخذ قصص إلى أهلها، متسائلةً بخجل: " فهل لديكما قصصٌ أستطيع أخذها إليهم؟ "

قالا: " أجل، لدينا قصص كثيرة. لكن ماذا لديكِ تعطينا في مقابل تلك القصص، يا مانزاندابا؟ "

فسألتهما مانزاندابا: " وما الذي ترغبان فيه؟ "

قالا: " ما نريد في الواقع صورة لبيتكِ وأهلك. إننا لا نستطيع أبداً الذهاب إلى اليابسة، لكن سيكون أمراً لطيفاً أن نرى ذلك المكان. فهل يمكنكِ أن تأتينا بصورة، مانزاندابا؟ "

أجابت: " أوه، أجل! أستطيع أن أفعل ذلك! شكراً! "

وهكذا تسلّقت مانزاندابا ترسَ السلحفاة، التي أخذتها على ظهرها عائدةً بها إلى الساحل. وبعد أن شكرتها كثيراً طلبت منها أن تعود مع البدر القادم لتأخذها مع الصورة.

أخبرت المرأة عائلتها بجميع الأشياء التي رأتها وعايشتها في رحلتها تلك. وحين أتت أخيراً إلى نهاية الحكاية هتف زوجها بسرور، قائلاً: " أستطيع أن أفعل ذلك! أستطيع أن أنقشَ صورةً جميلة على الخشب لشعب الأرواح في مقابل قصصهم! " وبدأ يعمل على الفور.

وكانت مانزاندابا فخورةً للغاية بزوجها ومهارة أصابعه. وراحت تراقبه والصورة التي ينقشها تنبعث فيها الحياة. وكان فيها أفراد الأسرة، وبيتهم وقريتهم. وسرعان ما سمع الآخرون في الجماعة عن رحلة مانزاندابا والقصص الموعودة فجاءوا ليشاهدوا تحفة زينزيله الفنية وهي تتشكل. وحين كشف البدر القادم عن وجهه كان زينزيله على استعداد. وربط الصورة بعناية إلى ظهر مانزاندابا. فتسلقت ترس السلحفاة وابتعدتا في البحر إلى مملكة الأرواح. وعندما رأى الملك والملكة الصورة كانا سعيدين جداً! وأثنيا على موهبة زينزيله وأعطيا مانزاندابا قلادة خاصة مصنوعة من أروع القواقع لزوجها شكراً له. ثم التفتا إلى مانزاندابا نفسها قائلين: " ولك ولأهلك نقدم هدية القصص. " وسلماها أكبر وأجمل قوقعة رأتها عيناها على الإطلاق.

وقالا: " متى ما أردتِ قصةً، امسكي فقط هذه القوقعة عند أذنكِ وستكون لديك حكايتك! "

فشكرتهما مانزاندابا على لطفهما الشديد وانطلقت عائدة إلى عالمها هي. وعندما وصلت إلى الساحل، كان هناك في استقبالها عائلتها وجميع سكان قريتها. وجلسوا حول نار عظيمة، وراحوا يقولون لها: " إحكي لنا قصةً، يا مانزاندابا! إحكي لنا قصة! "

وهكذا جلست، ووضعت القوقعة على أذنها، وبدأت بقولها " كويسوكا سوكيلا ... "

وتلك هي الكيفية التي نشأت بها القصص!